

صلة الأرحام والتواصل بين الأقارب



«أمرنا سبحانه وتعالى بصلة الأرحام والتواصل بين الأقارب فقال تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنَاحِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (النساء/ 36). وصلة الرحم معناها مبررة الأهل والأقارب كالأخ والأخت والخال وأبنائهم وذلك بإظهار المودة نحوهم مما يؤدي إلى ترابط الأسرة وتقوية معنوياتها. فإذا تألفت الأسر وتماسكت، عمَّها الحب والإخاء؛ فقيوت شوكتها لأن أبناءها متعاونين، متآخين، متراحمين معاطفين.

إنَّ قريبك جزءٌ منك، مَنسوبٌ إليك مُتَّصِلٌ بك رَغِيبتَ أم لم تَرغَب. له عليك حقوقٌ، وعليه تجاهك واجبات. إن من حق القريب على قريبه أن يساعده بماله إذا افتقر فيمدُّ له يد العون وقت الحاجة؛ فيفريج عنه كُرْبَتَهُ وينفِّس عنه غمَّته. وإن كان هذا واجبه تجاه كل مسلم فهذا بالقريب أَوْلى وأجْدَر. قال تعالى: (وَأَنِذِرْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلَ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) (الإسراء/ 26)؛ والمعنى اعطِ أيها الإنسان المكلَّفَ القريب الذي لك صلة قرابة به، اعطيه من الودِّ، والزيارة، وحُسنِ المعاشرة والنفقة إن كان محتاجاً إليها.

وإذا كان الخطاب موجَّهًا للرسول (ص) فإنَّ المراد به أمته من بعده. قال (ص): "امك وأباك فأدناك أدناك"، أو ثم الأقرب فالأقرب، والأمر الوارد في هذه الآية الكريمة: (وَأَنِذِرْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ).

من حق ذَوِي رَحِمِكَ عليك الإحسان إليهم بقدر الطاقة والشفقة عليهم، وتقديم الذُّمِّ لهم، وإفشاء السلام عليهم، وعبادة مرضاهم، والسؤال عنهم وشهود جنازتهم ومقابلة الإساءة منهم بالإحسان إليهم. ومن كان ذا مال فأقاربه أولى الناس بصلته وبرِّه وصدَّقته. قال تعالى: (يَسْأَلُ لُؤْلُوًا مَّاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مِمَّا أَرَزَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) (البقرة/ 215)، والسؤال في الآية موجَّهٌ إلى محمد (ص): يسألك أصحابك يا محمد عن مقدار ما يُنفقون نفقة تطوُّع وليس الزكاة الواجبة، وعن بيان الجهة أو المصرف التي يُنفقون فيها؟ فأجيبهم إن أي مقدار تنفقونه قليلا كان أو كثيرا فهو خير، وأن جهات الإنفاق إعطاء الوالدين (الأب والأم) والأولاد لأنهم قرابة قريبة ثم بقية الأقارب للأقرب فالأقرب. مع التأكيد هنا أنَّ الصدقة المُقدَّمة والمقصود منها أنها ليست من الزكاة المفروضة بل هي صدقة تطوُّع ولأنَّ أموال الزكاة

الواجبة لا تجوز إنفاقها على الأصول والفروع.

قد لا يكون المسلم غنياً قادراً على الإنفاق فلتكن صلته لرحمه بالزيارة إليهم وإلقاء السلام عليهم والسؤال عنهم لجلب محبتهم وتوثيق الصلة بهم قال (ص): "صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ".

ومن حقوق الرحم النصيحة والإرشاد للخير والأمر بالصلاة قال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرِزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) (طه/ 132). وصلة الرحم تسبب سعة الرزق كما أنها تسبب البركة في العمر. قال (ص): "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْزِلَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ"، وقال (ص): "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ". إنَّ صلة الرحم ومساعدة الأهل والدفاع عنهم بالحق والعدل أمر واجب، ولكن ليس من الخير ولا من البر أن يعين المسلم قريباً على شر أو يساعده على الهروب من حق. قال سبحانه وتعالى يقول: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) (الأنعام/ 152). فحذار أن تُعين ابنك أو أخاك أو عشيرتك على ظلم أو تشهد لهم بالباطل.

وإذا كان الإسلام قد حَبَّبَ إلينا صلة الرحم وحثَّنا على البرِّ بالأقارب وجعل ذلك من القُرْبَاتِ إليه. فَإِنَّهُ نَهَى عَنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وجعل ذلك من أسباب غضبِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ وقد لعنَ اللَّهُ سبحانه وتعالى المرء الذي يتكبر على أهله ويقطع رحمه قال تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) (محمد/ 22). قال (ص): "الرَّحِمُ مُعْلَقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَّلَنِي وَصَّلَاهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَّعَنِي قَطَّعَهُ اللَّهُ" وقال (ص) أيضاً: "لا يدخل الجنة قاطعٌ"، أي قاطع رحم.

لا ينبغي للمسلم أن يبادلَ أهلهُ الإساءةَ بالإساءةَ وقطيعتَهُم بالقطيعة، لأنَّه بذلك يَرْضَى لنفسه ما عَابَهُ عَلَيْهِمْ وهو يستطيع أن يكسبَ قلوبَهُم باستمرار الإحسان إليهم؛ فالشرُّ لا يدفع الشرَّ وليس من الحق ولا من الصواب ما أوعز به الشيطان إلى بعض النفوس فزين لهم المثل "الأقارب عقارب" لا فهذا المثل ليس صحيحاً. قال (ص) في حديثٍ قدسي فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: "أنا اللَّهُ وأنا الرحمن، خلقتُ الرحمَ وشَقَقْتُ لها إسمًا من إسمي، فمن وَصَّلَهَا وَصَلَّتْهُ وَمَنْ قَطَّعَهَا قَطَّعْتُهُ" فَصَلُّوا أَرْحَامَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وتوبوا إليه. ►